ملكة رومانيا

في اكتب كاتبات العصر واشعر شاعراته اقمت التاسعة والستين من عمرها ودخلت في السنة السبعين في التاسع والعشرين من دسمبر الماضي وتعرف لدى ارباب الاقلام وقارئي كتب الادب باسم كارمن سلفا اي غناء الغاب . ابوها من بيت المالي قديم عريق في المجد ومنهُ الامير الذي اختير حديثاً ملكاً لالبانيا وامها اميرة نسوٌ اخت دوق لكسمبرج وكلاهما من محبي الآداب والفنون . عُنيت القراءة وعمرها ثلاث سنوات و برعت في حداثتها في تعلُّم اللغات ونظمت الشعر الحسن وعمرها ثلاث عشرة سنة ومن ثم الى الآن وهي تنشئ وتنظم . واكثر ما تميل الى الكتابة فيهِ المواضيع الاجتماعية والقصص الفكاهية ومن ذلك كتاب قصص للصغار بيع منهُ نحو مليون نسخة لا لانها تكتب كملكة بل لانها تكتب كامرأة ووالدة ثاكلة

اقترنت بملك رومانيا سنة ١٨٦٩ وولد لها ابنة سنة ١٨٧٠ . فسُرَّ الشعب الروماني بها واهدى اليها سريراً من الذهب . ولم تكد تبلغ الرابعة من عمرها حتى كاد يعدمها لما امتازت بهِ من جمال المنظر ولكنها مرضت حينئذٍ بمرض وافد انتشر في بخارست وامات كثيراً من الاطفال . وبقيت اربعة ايام وهي بين الحياة والموت فافرغ الاطباء حيلهم وغاية ما وصل اليهِ علمهم لكنهم لم يقووا على مقاومة الداء . اربعة ايام بلياليها وامها ساهرة عليها لا تفارقها لكنها لم تستطع ان تدفع مقدوراً واخيراً فتحت الابنة عينيها وقالت بصوت لا يكاد يسمع انا عطشانة اسقوني من ماء يلش فصار نهر يلش من ذلك الحين مقدساً في رومانيا . ولم ترزق الملكة ولداً غيرها فقضت عمرها في وصف محاسن هذا النهر والجبال المحيطة بهِ نثراً ونظماً . واحيت كل القصص القديمة واسكنت تلك الآكام والوهاد بصور خيالها كل ذلك تذكاراً لابنتها ولبست الحداد من ذلك الحين تعاقب بين الابيض والاسود

وقد صار قبر هذه الابنة حرماً تزورهُ الملكة كل يوم الاَّ اذا منعها مرض . وبنت الى جانبهِ ملجأً للايتام تذكاراً لهُ واقامت عليهِ تمثالاً من المرمر يمثل ابنتها وقصائب شعرها حول وجهها وعيناها منمضتان وكتبت تحتهُ « لم تمت بل نامت »

وبنت الى جانب النهر الذي نطقت ابنتها باسمهِ قبلما اسلمت الروح قصراً بديعاً افرغت في رسمهِ وتزيينهِ ما اعطاها الله من قوة التصور وسعة الخيال . شرعت في بنائهِ سنة ١٨٧٥ ومضى ثلاثون سنة وكبار المهندسين والنقاشين يعملون في تنسيقهِ وتزيينهِ وانفقت عليهِ بدرات الاموال . ولا تزال ايدي الصناع تعمل فيهِ والداخل اليهِ الآن كالداخل الى متحف من

ملكة رومانيا

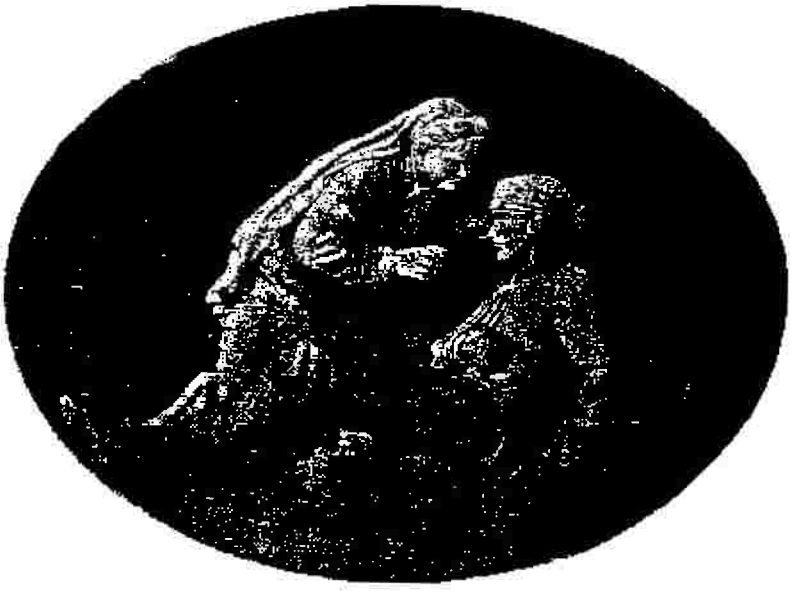

تمثال ملكة رومانيا وهي تمشي بجرح

المقتطف صفحة ٢١٤ مجلد ٤٤

المتاحف الكبيرة لكثرة ما فيه من التحف والاعلاق المجموعة من اقطار المسكونة ولان غرفه الكثيرة مختلفة النسق والاثاث والهندام باختلاف البلدان المنسوبة اليها فهناك غرفة انكليزية للاستقبال واخرى المانية للاشراف واخرى شرقية للجلوس واخرى هولندية للصور واخرى تركية للتدخين وهلم جرًّا . وفيه اربعون منزلاً لا يزال الضيوف كل منزل منها تامٌّ بغرفه ومرافقه

التقت بزوجها اول مرة في قصر امبراطور المانيا ببرلين وكانت قد اتته زائرة وهي فتاة في السادسة عشرة . ويقال انها كانت نازلة على سلم القصر مسرعة على جاري عادتها فزلّت قدمها ووقعت واتفق ان البرنس شارل الذي اقترن بها بعد ذلك كان صاعداً فاستلقاها . وكانت تقول انها لا تتزوج الا بمن يجعلها ملكة لرومانيا لان تلك البلاد مشهورة بجمال مناظرها حتى كأنها شعر نظمته الطبيعة ولم يكن لها ملك حينئذٍ ولا كانت مملكة . لكن الامير الذي استلقاها وهي واقعة وتجاها من الهلكة وقع من نفسها موقعاً عظيماً فاقترنت به بعد تسع سنوات اي بعد ان جُعل اميراً لرومانيا . ولما خطبها اخذت تتعلّم اللغة الرومانية فلم يمضِ عليها وقت طويل حتى احسنتها لكثرة ما تعرف من اللغات

ولما انضمّت رومانيا الى روسيا في محاربة الدولة العلية جعلت صاحبة الترجمة تمرّض الجرحى وتعزي المحتضرين واقامت مستشفى لمئة منهم على نفقتها وكانت تحضر العمليات الجراحية الكبرى . ولما رأى اغنياء بخارست منها ذلك جعلوا يحذون حذوها في الانفاق على الجرحى واجتمع نساء العساكر وجمعوا مبلغاً طائلاً من المال صنعوا به تمثالاً لها يمثلها راكبة امام جندي جريح وقد سندت رأسهُ يسارها وفي يمينها كأس تقدمها له

ولما وضعت الحرب اوزارها وعاد زوجها الى بيته كتبت الى امها تقول « الحمد لله فقد عاد شارل (اي زوجها) ويسهل عليَّ الآن ان اعود الى كتبي الى ازهاري وطيوري وكتبي ودفاتري . وبين المرأة التي تضطرُّ ان تخوض غمار السياسة . قدَّر الله لنا سلماً طويل الامد يزول به ما خامر نفوسنا من اليأس والكمد ويجعل كل ما حدث في خبر كان »

والحادثة التالية تدل على ما كان لها من المكانة في نفوس الضباط والجنود : —

اصيب ضابط بكسر مزدوج في فخذهِ وقال الجراح انه لا بدَّ من بترهِ . اما الضابط فابى ذلك مفضلاً الموت على ان يعيش بلا ساق . فلجأ الجراح اليها لعلها تقنع الضابط . ولما رأت الكلام والحجج لا تجديه معهُ نفعاً ركعت امامهُ وقالت لهُ حتى الآن لم اتوسّل الى مخلوق قط لكني اتوسّل اليك ان تطيع امر الجراح . فقال لها ان فعلتُ ما تريدين فماذا يكون جزائي . قالت اني اهدي اليك رجلاً صناعية لم يصنع الصناع احسن منها ومتى تعلمت

المشي عليها ادعوك الى القصر انت واولادك » فاطاع امرها وقطعت رحلة

زارتها احدى الكاتبات منذ عهد غير طويل وكتبت عنها تقول « اول ما وقع نظري عليها تعجبت من ان جمالها الفائق لم تذبل نضارته حتى الآن وطلاقة وجهها لا تزال على عهدها ثم استغربت سعة معارفها وتمكنها من البحث في كل موضوع ولكن لم يخفَ عليَّ انها كانت تفرط في استعمال قواها العقلية فتكاد تستنزفها كلها . فكثيراً ما كانت تأتي في الصباح الى المائدة وفي يدها رزمة من الاوراق تكون قد امضت الليل في كتابة ما فيها ثم يتقضي النهار وهي تنتقل من عمل الى آخر لا تكل ولا تمل الى ان يأتي اولاد اخيها امبرويد بعد ان يتموا دروسهم فتقضي ساعة معهم في اللعب والمناغاة »

لما زارت انكلترا آخر مرة نزلت في قصر ونذزور منيفة على المملكة فكتوريا ونظمت على معجم المملكة رواية شعرية تاريخية من نظمها باللغة الالمانية تلتها كلها من غير ان تفتح كتاباً . ونظمت في وقت آخر امام السر هنري ارفنج الممثل الشهير رواية اخرى من نظمها ناقلةً اياها ارتجالاً من اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية فابدعت في حفظ المعنى مع فصاحة التركيب الانكليزي حتى ادهشت السامعين وقالوا ان ذلك فوق طوق البشر

وزارت سنة ١٩٠٦ قبر امبراطورة النمسا ووضعت عليهِ اكليلاً من الزهر كتبت عليهِ ما ترجمتهُ « اتيتك بازهار قطفتها من اعالي الجبال لاطرحها عند قدميك اللتين كانتا دائبتين على السعي الى اسمى المطالب الى السلام الدائم الى المعرفة الكاملة الى ينابيع النور والطهر الابديين . اتيتك بالازهار من تلك المسالك التي كنا نسير فيها عند فجر النهار حينما كان زهر الربى ينعش نفسينا بارجهِ والمعاني تملأ كأسينا كانكواكب من عينيك فتصفرُ منها لآلئ الندى خجلاً . ولقد كانت نفسك صافية كالبلور جسورة كقدميك تطوف العوالم وتخترق اعماق الخفايا وتجاهل الغوامض . صغرت الوزايا رأسك اكليلاً فلم يعد يهابُ بتاج الملك . رأيت امجاد العالم وعظمتهُ خيالاً زائلاً لانك الى العالم الروحي انصبت العزيمة ومنهُ جاء تلك النجاة حينما عن ساوى الدنيا التقت فسمعت في ظلمات الليل صوت قلبك يستجلي بنات فكرك ويزفُّ عرائس عقلك . ولقد كنت الخليفة لتلك الافكار الحرَّة والمعاني النفيسة . فيا اخاهُ عند قدميك اطرح ازهاراً علتها حمرة الخجل وصفرة الوقار قطفتها لك من جبال كرباثيا . عند القدمين اللتين اضناهما التعب قبلما تمتعتا بالراحة اطرح هذه الازهار فتثبتُ لك اشواق الذين شاقتهم المعالي وهم يحنون معك اياهم الى الخلود »

وقد قرأنا لها شعراً انكليزياً في وصف دير وسنستر فلن قرأنا ما هو ابلغ منهُ